"دراسة وتحقيق لأقدم وثيقة وقف
لخدمات الحجاج والمعتمرين
منقوشة من القرن الثالث الهجري بمكة المكرمة"

إعـداد

د. محمد بن فهد الفعر

قسم التاريخ والحضارات الإسلامية

جامعة أم القرى

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

تمهيـــد:

تعتبر الكتابات والنقوش الإسلامية من أهم المصادر التي تعين المؤرخ والباحث وعالم الآثار على تحقيق بغيته في الوصول إلى الحقائق التاريخية التي لا تقبل الجدل أو النقاش، فهي تحقق لكل منهم، إضافة جديدة قد لا يجدها في المصادر الأخرى، وبصفة خاصة المصادر التاريخية، أو تصحح خطأً شائعًا بين الباحثين أو ترجح رأيًا على آخر، والأمثلة على ذلك تفوق الحصر ويعرفها المتخصصون في التاريخ والآثار والبحث العلمي بصفة عامة.

وهذه الوثيقة المنقوشة على حجر وتعود للقرن الثالث الهجري مثال حي على أهمية الكتابات الإسلامية المنقوشة التي تكمّل كثيراً من الحلقات المفقودة في تاريخنا الإسلامي بعامة وتاريخ مكة شرفها الله بصفة خاصة.

وعلى الرغم من استقصاء المصادر المكية المتاحة من مخطوط ومطبوع من قديم وحديث فإني لم أجد أي معلومة مهما كان حجمها عن هذه الوثيقة الوقفية، أو ما تضمنته من معلومات عن الأشياء الموقوفة أو عن إسم واقفها والمتصدق بها، مما يؤكد أهمية العناية بدراسة النقوش والكتابات الإسلامية بمختلف أنواعها التأسيسية أو التذكارية أو الأوامر والمراسيم السلطانية أو حج الوقف ووثائقه لأنها بما تضيفه من معلومات تعتبر في غاية الأهمية، فتنير للباحث والمؤرخ وعالم الآثار طريقه في البحث، ولذلك سوف تشتمل هذه الدراسة على الآتي:

أولاً: التعريف بالوثيقة وأهميتها ومكان وجودها :

نص هذه الوثيقة عبارة عن وقفية منقوشة بالخط الحجازي (المكي) المزوى الغائر على حجر بازلتي مستطيل الشكل من الأحجار البازلتية المتوفرة في جبال مكة المكرمة قياساته ٧٣سم عرضًا × ٤٣سم ارتفاعاً يعود إلى القرن الثالث الهجري، وقد عثرت عليه أثناء البحث الميداني عن نقوش مكة وكتاباتها بمتحف آثار الحرم المكي الشريف في شهر المحرم سنة ١٣٩٧ هـ قبل نقل المتحف إلى مقره الحالي في أم الجود بجوار مصنع كسوة الكعبة المشرفة.

ولم تتح لي دراسته خلال هذه المدة الطويلة لانشغالي بأعمال علمية أخرى.

ويتضمن النص وقف إحدى الدور وما يلحق بها من حوانيت تؤجر وتصرف غلتها أو ريْعُها على عمارتها ثم على السقاية التي أنشأها صاحب الوقف نفسه لسقاية الحجاج والمعتمرين وسائر المسلمين، ثم علي تجديد السقاية والعناية بها.

وتكمن أهمية هذه الوثيقة أيضاً، في أنها أقدم نص منقوش على حجر يمثل حجة وقف عثر عليها داخل مكة المكرمة تتحدث عن سقاية الحجاج والمعتمرين وسائر المسلمين الذين يأتون إلى مكة أو يقيمون بها، وتثبت في نفس الوقت عدم إقتصار خدمات الحجاج والمعتمرين وغيرهم من سائر المسلمين علي الحكومات الإسلامية المتعاقبة، وإنما شارك في هذه الخدمات أيضاً، الموسرون والأثرياء من المسلمين رجالاً ونساءً احتسابًا لوجه الله تعالي وابتغاء مرضاته.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فقدان تاريخ الوثيقة أو عدم وجوده أصلاً لم يفقدنا معرفة موضوع الوقف فهي واردة بالوثيقة، كما أن مصاريف الوقف وغلته وعين الوقف قد حددتها الوثيقة بشكل واضح، كما أن أسلوب خط الوثيقة وطريقة تنفيذه واللواحق الزخرفية المتصلة بالحروف تجعلنا نؤكد أنه يعود إلي القرن الثالث الهجري، وهو ما سوف نوضحه عند تحليل حروف النص ومقارنته بنصوص أخرى تعود لنفس الفترة التاريخية.

النص: يتألف نص الوثيقة من عشرة أسطر على النحو التالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به.

٢- إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن حميد المعر [و].

٣- ف (دلى)(هكذا) تصدق بهذه الدار مع حوانيتها هذه.

٤- الثلاثة والسقاية بحقوق [ذالك] (هكذا) ومرافقه [سفله].

٥- وعلوه صدقة موقوفة مؤبدة لوجه [الله تعالي].

٦- والدار الآخرة تستغل على وجوه غلاتها وبنـ[ـيانها] و[تصرف].

٧- غلتها لعمارتها ثم تصرف سائر غلتها في ما يشـ[ـرب].

٨- في هذه السقاية [...] ذلك وبين من أحب.

٩- من الشرب منه من [الحجاج] والمعتمرين وسائر المسلمين.

١٠- وكلما بعد من شيء من [مائها] جدد مكانه من ذلك.

ثانياً: الألقاب والعبارات الواردة بالنص:

يبدو أن صاحب النص قد ورد له لقب بعد كلمة [المعروف] في نهاية السطر الثاني وبداية السطر الثالث، ولكن كتابة اللقب غير واضحة في النص إما بسبب ضعف حفر الكلمة على الحجر أصلاً أو أنها تأثرت بعوامل التعرية مع طول الزمن شأنها شأن بعض كلمات أخرى في النص مما سوف نوضحه عند تحليل النص، وليس هناك ألقاب أخرى بالنص يمكن الحديث عنها.

أما العبارات الواردة بالنص عدا الأسماء والألقاب فهي عبارتان فقط هما:

أ- حوانيت: وهي جمع حانوت، والحانوت معروف وقد غلب إطلاقه علي حانوت الخمّار وهو يذكر ويؤنث، قال أبو حنيفة: النّسب إلي الحانوت حاني وحانوي ويطلق الحانوت علي الخمّار نفسه وكانت العرب تسمّي بيوت الخمارين الحوانيت[١].

ب- السقاية: وهي الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها، وسقاية الحاج سقيهم الشراب[٢]، وقد عرفت السقايات بعد ذلك بالسُّبُل واشتهرت به فيما بعد[٣].

أما صاحب الوقف وهو إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن حميد

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار صادر بيروت، دون تاريخ جـ٢ ص٢٦

(٢) المصدر نفسه، جـ١٤، ص٣٩٢

(٣) تقي الدين الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء، القاهرة، طبعة البابي الحلبي جـ١، ١٩٥٦م، ص٣٣٧

فلم أعثر له على ترجمة فيما عرضت له من مصادر مكية أو غيرها، ولم يذكر مؤرخوا مكة وغيرهم شيئاً عن هذا الوقف أو صاحبه أو مكانه أو الدار أو الحوانيت أو السقاية، مما يجعل هذه الوثيقة الحجرية إضافة جديدة لتاريخ مكة شرفها الله، وحلقة مفقودة ظفرت بالعثور عليها والكشف عنها بفضل الله تعالى من تلك الحلقات التي ما زالت مفقودة في تاريخ البلد الأمين.

وأود أن أضيف هنا أن صاحب هذا الوقف لم يقصر صدقته على فئة معينة من المسلمين أو على جنس دون غيره أو طائفة دون سواها، بل جعلها وقفاً مؤبداً وصدقة على سائر المسلمين ابتغاء ثواب الله سبحانه وادخارًا للحسنات في الدار الآخرة.

ثالثاً: التعريف بالوقف والحديث عنه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما اشترى عثمان بن عفان رضي الله عنه بئر رومة[1] وأوقفها على المسلمين.

والوقف في اللغة: الحبس والمنع، وفي الشرع: حبس الأصل

---

(١) بئر رومة كانت تقع في وادي العقيق الأصغر شمال غرب المدينة المنورة، وكان لها شهرة ذائعة الصيت في حلاوة مائها فكانت هي وبئر عروة من أهم مصادر الشرب لأهل المدينة، وقد وصفها كثير من المؤرخين قديمًا مثل ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م وحديثًا مثل عبدالقدوس الأنصاري الذي أشار إلى أن بئر رومة ومزرعتها هي من جملة أوقاف المسجد النبوي الشريف وهي التي تؤجرها، وكانت قد استأجرتها وزارة الزراعة السعودية في عام ١٣٩٢هـ وما قبله وجعلتها حديقة عامة. انظر:- ابن النجار، الدرّة الثمينة في تاريخ المدينة، مكة المكرمة، منشورات مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م ص ص٣٤٤- ٣٤٥. عبدالقدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة، المدينة المنورة، منشورات المكتبة السلفية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م الطبعة الثالثة ص ص٢٤٤- ٢٤٥

وتسبيل المنفعة[(١)].

وهو مصدر قولك وقف الشيء إذا حبسه ومنه وقف الأرض على المساكين إذا حبسها[(٢)].

والوقف هو منع التصرف في رقبة العين مع بقاء عينها وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداءً وهو الوقف الخيري أو انتهاءً وهو الوقف الأهلي[(٣)].

والوقف في الشريعة الإسلامية صدقة محرمة لا تباع ولا تشترى ولا توهب ولا تورث ويصرف ريعها إلي جهة من جهات البر[(٤)].

ونحن هنا لن نتحدث عن الوقف وأنواعه ومشروعيته لأن كتب الفقه والمؤلفات المتخصصة تكفلت بذلك، وهو موضوع واسع ومتشعب، والذي يهمنا هنا أن هذه الوثيقة الوقفية إضافة جديدة لتاريخ مكة المشرفة كما سبق أن أشرنا هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية أننا سوف نقتصر في الحديث على بعض الأعمال الخيرية الخاصة بسقي الماء وشربه منذ أن أشترى الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه بئر رومة بالمدينة وجعلها صدقة على المسلمين، فهو

(١) محمد أبوزهرة، محاضرات في الوقف، القاهرة، مطبعة مخيمر ١٩٥٩م ص٤٧

(٢) الأزهري، محمد بن أحمد الهروي (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، جـ٩ ص٣٣٣

(٣) محمد أبوزهرة، المرجع السابق، ص٧ وانظر:-

محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر "دراسات تاريخية وثائقية" القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٩٨٠م ص١١

(٤) محمد أبوزهرة، المرجع السابق، ص٩، وانظر محمد محمد أمين، المرجع السابق، ص١

رضي الله عنه أول من أقف الماء وجعله صدقة على عامة المسلمين، وذلك حين قدوم النبي صلي الله عليه وسلم إلى المدينة وهجرته إليها، فقد روى عنه رضي الله عنه أنه قال:" لما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى المدينة وليس فيها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة، فاشتريتها من صلب مالي وجعلتها للمسلمين "(١).

ويشير ابن سعد في الطبقات إلى أنه ما إن أشترى عثمان رضي الله عنه بئر رومة وجعلها وقفاً على المسلمين وعلم رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك حتى دعا لعثمان رضي الله عنه بقوله: "اللهم أوجب له الجنّة ثم دعا بدلو من مائها فشرب منه"(٢). ولذلك لا نستغرب أن يتسابق أثرياء المسلمين وميسوري الحال منهم حكاماً ومحكومين على حفر الآبار، وإجراء العيون وإنشاء البرك، وإقامة السقايات والسبل، وتمهيد الطرق وتأمينها بكل ما تحتاج إليه من مساكن

(١) هلال بن يحيى البصري (ت٢٤٥هـ)، أحكام الوقف، طبع حيدر آباد الركن ١٩٣٦م ص٦ وانظر أيضًا:-

أبوزيد عمر بن شبّه النميري (ت٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم شلتوت، جدّه، دار الأصفاني ١٣٩٣هـ جـ١ ص ص١٥٢- ١٥٣، جـ٤ص١١٩٠

السمهودي، علي بن أحمد (ت٩١١هـ)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد – بيروت، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٩٦٨

الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٤١

(٢) محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق احسان عبّاس، بيروت، دار صادر جـ١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ص٥٠٥- ٥٠٦

ومنازل وخانات وخلافها لخدمة الحجاج وغيرهم من المسلمين طلباً لثواب الله سبحانه وتعالي ورجاء لما عنده في الدار الآخرة، ومن هؤلاء إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن حميد الوارد اسمه في النص، والذي قام بوقف دار بمكة المكرمة مع حوانيتها الثلاثة وجعلها صدقة موقوفة مؤبدة لوجه الله تعالى والدار الآخرة (كما ورد في النص)، وتأجيرها وصرف غلتها على إصلاح الوقف ثم على ما يشترى من ماء تزود به السقاية التي أنشأها أيضاً بمكة المكرمة ليشرب منها الحاج والمقيم والمعتمر وسائر المسلمين.

ويتبادر إلي الذهن هنا سؤال هام هو أين كان موقع هذه الدار والحوانيت والسقاية من مكة المكرمة، وهل كانت قريبة من الحرم المكي الشريف أم كانت بعيدة عنه؟.

والواقع أنه لم يرد لهذه الدار وما يتبعها وكذلك السقاية أي ذكر عند مؤرخي مكة أو الرحالة أو غيرهم ولا إلى موقعها أو من أوقفها، وليس لدينا هنا سوى أن نجتهد برأينا المتواضع فنقول: لا شك أنها كانت قريبة من الحرم المكي الشريف الذي شملته التوسعة السعودية من كل جانب منذ أن بدأت سنة ١٣٧٥ هـ[1]، مع صعوبة تحديد الجهة التي كانت فيها الدار والسقاية الموقوفتان من الحرم الشريف، لأن وثيقة وقف الدار والسقاية الحجرية موضوع الدراسة قد حفظت مع بقية النصوص والكتابات التوثيقية التي كانت بداخل

(١) حسين عبدالله باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، الطبعة الثانية، مصر، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص٢٦٦

الحـرم الـشريف وبالأمـاكن المحيطـة بـه، والـتي أزيلـت في التوسـعة السعودية المشار إليها، وحفظت هذه الوثيقة مع ما حفظ من نصوص وكتابات أخري في متحف الحرم الشريف حتّى يسر الله لي الإطلاع عليها عام ١٣٩٧هـ قبل نقل هذه النصوص والكتابات إلي مقرها الحالي في منطقة أم الجود على الطريق القديم بين مكة وجدة في مبنى خاص مجاور لمصنع كسوة الكعبة المشرفة.

رابعًا: التيسير على الحجاج وغيرهم في تأمين الماء

لقد كان التيسير على الحجاج والعمار وغيرهم من المجاورين والمقيمين هو الشغل الشاغل للخلفاء والسلاطين والملوك وغيرهم من الحكام منذ عهد الخلفاء الراشدين[١]، كما اهتم خلفاء بني أمية منذ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (٤١- ٦٠هـ) بإجراء ماء العيون إلى مكة حين جمع عشر عيون من أماكن مختلفة وأجراها إلى مكة[٢]، وكذلك فعل عبدالله بن عامر بن كريز (ت٥٧هـ) ابن خال الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان أول من أجرى عين عرفة وأول من اتخذ لها الحياض بعرفة[٣] في عهد الخليفة معاوية أيضًا.

---

(١) أبوالوليد الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس، مكة المكرمة، دار الثقافة، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، جـ٢، ص٢٣٠ وانظر:-

ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبعة القاهرة، د.ت، ص٢٨٨

(٢) الأزرقي: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٧٧

(٣) عن الجهود التي بذلها الخلفاء الراشدون منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/٦٣٤- ٦٤٤م) في تأمين المياه للحجاج والمسافرين انظر:- سعد بن عبدالعزيز الراشد، درب زبيدة، الرياض، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ص٣٤، ٤٢، ٤٣ وكان بالإمكان =

ويشير المؤرخ الطبري (ت٣١٠هـ) إلى أن الخليفة الوليد بن عبدالملك (٨٦- ٩٦هـ) قد كتب في السنة الثالثة من خلافته إلى والي المدينة المنورة عمر بن عبدالعزيز بأن يقوم بتسهيل العقبات وحفر الآبار بالمدينة، وبعث إلى ولاة الأقاليم الأخرى برسائل مماثلة[١].

كما وجد طريق الحج الشامي اهتمامًا خاصًا من قبل الوليد، فقد أمر أثناء خلافته بإقامة خزانات المياه على طول الطريق[٢].

ولم يقتصر الأمر على الوليد بن عبدالملك بل لقد اهتم الخليفة هشام بن عبدالملك (١٠٥- ١٢٥هـ/ ٧٢٤- ٧٤٣م) بأمر الماء وتأمينه للحجاج والمسافرين على طريق الحج الشامي، إذ عثر في قرية حازم بالقرب من بلدة السويداء وعلى بعد سبعة أكيال منها على نقش مؤلف من خمس أسطر بالخط الكوفي تشير إلى بناء بركة للمياه على الطريق بين دمشق والجزيرة العربية، ويحتمل أن تكون هذه البركة ضمن مشروع كبير خطط له تلبية لاحتياجات الحجاج من المياه[٣]. أما في العصر العباسي الذي يرجع إليه نص وثيقة الوقف

=

الحديث عنها ولكنها حظيت باهتمام وتقصي من باحث متمكن أرى أن العودة للكتاب المشار إليه أفضل من إعادتها هنا وتكرارها.

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٩م، جـ٦، ص٤٣٧

(٢) ابن الفقيه، كتاب البلدان، تحقيق دي جويه، ليدن ١٨٨٥م، ص١٠٦. وانظر: سعد الراشد، المرجع السابق، ص٣٩

(٣) سعد الراشد، المرجع السابق، ص٣٩

(موضوع الدراسة) فقد بذل الخلفاء العباسيون جهودًا ضخمة لتأمين الماء للحجاج والمسافرين والمقيمين والمجاورين على حد سواء، فقاموا ببناء الأحواض وحفر الآبار وإنشاء البرك على طول الطريق بين مكة والكوفة[1].

وإذا كان أبوجعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/ ٧٥٢- ٧٧٥) أول من اهتم بتأمين المياه وبناء الخزانات وإقامة الحصون والمنازل على طول الطريق بين مكة والكوفة فإن عصر ابنه الخليفة محمد المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/ ٧٧٥- ٧٨٦) يعتبر العصر الذهبي لمن سبقه من الخلفاء للخدمات التي قدمت للحجاج وبصفة خاصة تأمين الماء لهم، ففي سنة ١٦١هـ أصدر المهدي أمره بتعيين يقطين بن موسى أحد كبار رجال الدولة العباسية (ت ١٨٥هـ) مسؤولاً عن إدارة مصانع الماء الممتدة من بغداد إلى مكة، وأوكل إليه إنشاء البرك وتجديد الأميال وإقامة المرافق وظل يقطين مسؤولاً عنها لمدة عشر سنوات حتى عام ١٧١هـ، أي حتى بعد وفاة الخليفة المهدي سنة ١٦٩هـ[2].

ويشير صاحب كتاب المناسك وطرق الحج وهو من رجال القرن الثالث الهجري إلى عدد من الأماكن التي حفرت فيها الآبار وانشئت البرك والأحواض في عهد الخليفة المهدي وغيرها من

(١) المرجع نفسه، ص٤٧

(٢) الطبري، المصدر السابق، جـ٧، ص٤٨٣، وعن يقطين بن موسى والمهمات التي أوكلت إليه وورود إسمه في أحد نقوش المسجد الحرام المؤرخ بسنة ١٦٧هـ، انظر:-

محمد بن فهد عبدالله الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، جدّة، تهامة للنشر ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ص٢٠٤- ٢٠٥

المرافق[١]، ولم يقتصر اهتمام الخليفة المهدي على طريق الحج، بل في داخل الحرم المكي الشريف، فقد شعر بنقص ماء زمزم فيما بين سنتي ١٦٦- ١٦٨هـ، ٧٨٢- ٧٨٤م فقام بحفرها عدة أذرع وأنشأ بجوارها حوضًا من الرخام يملأ بالماء لكل من أراد الوضوء من ماء زمزم[٢]، من حجاج وغيرهم، كما قام بحفر بئر بالقرب من باب الوداع للغرض نفسه[٣].

ولم يقتصر الاهتمام بتوفير المياه للحجاج وغيرهم على الخلفاء العباسيين أو رجال الدولة فيها، بل شارك في ذلك غيرهم من الموسرين والأثرياء والعلماء ونساء الخلفاء وأمهاتهم وغيرهم، ففي النصف الأول من القرن الثاني الهجري حفر المحدث سليمان بن مهران المعروف بالأعمش (ت١٤٨هـ) بئرين بمنطقة الخشنة بالقرب من نخلة الشامية (الشرائع حاليًا) في المكان الذي يجتمع فيه حجاج العراق واليمن وعمان وهجر وغيرهم، وجعل هاتين البئرين صدقة لأبناء السبيل وغيرهم ممن يردهما من خلق الله (على حد تعبير نصهما المنقوش). ونقش لذلك نصًا تأسيسيًا ظل في موقعه إلى أن نقل إلى متحف قسم

(١) أبوإسحق الحربي، كتاب المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ص٢٨٨- ٣٢٨

(٢) الأزرقي، المصدر السابق، جـ٢، ص ص١٠٠- ١٠١ وانظر:-

سليمان بن صالح كمال، إمارة الحج في العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٣٤٤

(٣) الفاسي، شفاء الغرام جـ١ص٢٤٨، وانظر سليمان كمال، المرجع السابق، ص٣٤٤

الحضارة والنظم الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة[١].

أما أمهات الخلفاء وزوجاتهم فقد ضربن بسهم وافر في الأعمال الخيرية وبصفة خاصة تأمين الماء لسقاية الحجاج والعمار والمقيمين وغيرهم على حد سواء، بدءًا من الخيزران زوجة الخليفة المهدي (ت١٧٣هـ) التي أمرت بإنشاء سقاية للحجاج وغيرهم بفناء دار الأرقم بن أبي الأرقم بالقرب من المسجد الحرام، وبإنشاء سقاية أخرى عند باب الحناطين أحد أبواب المسجد الحرام[٢]، كما قامت مولاتها خالصة بنثل بئر وتنظيفها وترميمها كانت تقع بين مأزمي عرفة عرفت باسمها فيما بعد[٣].

ومنذ عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠- ١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) وهو آخر من حج من خلفاء بني العباس وأكثرهم حجًا لبيته الحرام، اتخذت الأعمال الخيرية وبصفة خاصة تأمين الماء للحجاج والمسافرين وغيرهم منحى آخر لتردده على مكة وتكرار حجّه تسع سنين أكبر الأثر في الاهتمام بتأمين الماء وإنشاء البرك والخزانات على طول طريق الحج من بغداد إلى مكة، ما جعل كثيرًا من المنشآت تسمى باسمه من بعده[٤].

ولم يقتصر جهده واهتمامه على تأمين الماء في طريق الحج

(١) عن هذا النص التأسيسي والدراسة التي أجريت عليه انظر، محمد فهد الفعر، تطور الكتابات والنقوش، ص ص١٩٦- ٢٠٣

(٢) الأزرقي، المصدر السابق، ص ص٩٥، ٢٩٤

(٣) سليمان كمال، المرجع السابق، ص٣٤٦

(٤) سعد الراشد، درب زبيدة، ص٥٠

فحسب، بل رأى ما يعانيه أهل مكة والحجاج وغيرهم من قلة الماء في مكة المكرمة نفسها وكذلك في المشاعر المقدسة فأمر ببناء المصانع وحفر الآبار وإقامة البرك بمكة ومنى وعرفات[١].

ولم يقتصر الأمر على الخليفة هارون نفسه أو رجال دولته، بل إن زوجته السيدة زبيدة بنت جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور (ت٢١٦هـ/ ٨٣٢م) قد بزّت كل من كان قبلها من خلفاء وأمراء ورجال دولة وأثرياء في الأعمال الخيرية سواء بالنسبة لتأمين المياه للحجاج والمقيمين في كل من مكة والمشاعر المقدسة، أو خارجها على طريق الحج منذ أن حجت حجتها الأولى سنة ١٩٤هـ، ويكفي أن أشير إلى أن ضخامة ما قامت به هذه السيدة من أعمال جليلة وما أمرت به من إجراء العيون بمكة وخارجها وما زودت به طريق الحج من بغداد إلى مكة جعل إسمها خالدًا حتى يومنا هذا وغلب إسمها على عين حنين التي أوصلتها إلى مكة وأصبحت تعرف "بعين زبيدة"، كما عرف طريق الحج باسمها وأصبح يعرف "بدرب زبيدة" مما جعل كثير من المؤرخين والرحالة والجغرافيين والكتاب والباحثين قديمًا وحديثًا يفيض في أخبارها، ويثني على أعمالها الجليلة في مكة والمشاعر وطرق الحج، لدرجة أنه وضعت مؤلفات خاصة بذلك وكتبت رسائل جامعية وبحوث علمية تختص بأعمال السيدة زبيدة وما أنفقته من أموال طائلة بلغت مليونًا وسبعمائة ألف دينار أو على حد تعبير المؤرخين قديمًا (ألف ألف وسبعمائة ألف دينار)[٢]، فهي التي أجرت ماء عين

(١) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد، بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠، ص٢٤٥

(٢) عن أعمال السيدة زبيدة وما أنفقته من أموال وما قامت من اصلاحات في مكة والمشاعر وخارجهما وما وضع من مؤلفات خاصة بذلك انظر:-

=

حنين إلى داخل مكة[١] وأجرت عين عرفات حتى أوصلتها إلى المشاعر المقدسة[٢].

ولا نريد أن نسترسل في ذكر أعمال هذه السيدة الجليلة لأن ذلك مبسوط في مكانه من المؤلفات المتخصصة التي سبق الإشارة إلى بعضها، ولكن أود أن أؤكد أن أعمال الإصلاح وخاصة تأمين المياه بمكة والمشاعر وإنشاء البرك والسقايات وجعلها وقفًا وسبيلاً وصدقة لسائر المسلمين من حجاج وسواهم لم يقتصر على الحكومات فقط بل أصبح توفير المياه وإصلاح مرافقها والتخفيف عن الناس في المواسم وغيرها سياسة عامة اتخذها المسلمون على مر العصور ابتغاء ثواب الله ورجاء لما عنده في الدار الآخرة.

كما أود أن أؤكد أنه رغم ضخامة الإصلاح الذي قامت به

=

سعد الراشد، درب زبيدة، ص ص٦٥- ٦٩

(١) الأزرقي، أخبار مكة، جـ٢، ص٢٣٠، الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، ص٣٤٦، قطب الدين الحنفي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق محمد طاهر كردي، مكة المكرمة، ١٣٧٠هـ، ص٢٨١ وما بعدها.

(٢) لم يذكر الأزرقي إجراء السيدة زبيدة لعين نعمان وإيصالها إلى عرفات وإلى بئر زبيدة في وادي عرنه والسبب في ذلك أن ماء عين نعمان لم يصل في إصلاحها إلى داخل مكة انظر:-
قطب الحنفي، المصدر السابق، ص٢٨٢ وانظر أيضًا:-
عبدالقادر ملاقلندر، الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة، مكة المكرمة، ١٩٢٧م، ص٦
إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، القاهرة ١٩٢٥م، جـ١، ص ص٢١٠- ٢١٤
رشدي الصالح ملحس، ملحق رقم (٤) عن عين زبيدة من كتاب الأزرقي، أخبار مكة، جـ٢، ص٣٢٧

السيدة زبيدة وإجرائها للعيون بمكة وما تبعه من إنشاء للبرك والخزانات وخلافها، وأهمية ذلك في تاريخ مكة فإنه لم يمنع أن تجرى بعدها إصلاحات كثيرة ومتعددة نذكر منها على سبيل المثال ما فعلته أم الخليفة المقتدر (٢٩٥- ٣٢٠هـ) والتي توفيت بعد ابنها سنة ٣٢١هـ حين أمرت بحفر آبار في الزاهر (فخ) وبعض آبار العسيلة على مجمع الطرق بين مكة والمدينة بالقرب من طريق الجادة في وادي نخلة الشامية[1].

أو ما قام به الخليفة أحمد الناصر لدين الله (٥٧٥- ٦٢٢هـ) من اصلاحات وتجديدات لعين عرفة في سنتي (٥٨٣- ٥٨٤هـ) على يدي أمير الحج طاشتكين بن عبدالله المقتفوي التستري (ت٦٠٢هـ) وفي سنة ٥٩٤هـ على يدي مظفر الدين ككبري صاحب إربل"[2]. أو ما تلاه من عصور سواء في العصر المملوكي أو العثماني، مما يضيق المجال عن ذكرها هنا في هذه العجالة من ناحية، ولأنها حظيت باهتمام خاص من أحد الباحثين قام باستقصائها في رسالة دكتوراه

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، جـ٢، ص ص١١٤، ٣٠٥، وانظر الحربي، كتاب المناسك، ص ص٤٦٧، ٥٢٠، وانظر أيضًا، الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، ص٢٧٧

(٢) يلاحظ أن عمارتي الخليفة الناصر أحمد لعين عرفة في سنتي ٥٨٣هـ، ٥٩٤هـ قد عرفت عن طريق النقوش الثلاثة الخاصة بالعمارتين والتي عثر عليها ملصقة فوق مجرى العين بأسفل جبل الرحمة (جبل عرفة)، وقد نقلت هذه النقوش مع نقوش أخرى إلى المعسكر الكشفي التابع لإدارة تعليم العاصمة المقدسة، وقد حظيت هذه النقوش الثلاثة بدراسة علمية نظرًا لأهميتها التوثيقية لإصلاحات لم يذكرها المؤرخون انظر:-

محمد فهد الفعر، تطور الكتابات والنقوش، ص ص٣٠٢- ٣١٧

من خلال النصوص التأسيسية لهذه العمائر والإصلاحات من ناحية أخرى، فضلاً عن أن الهدف من هذه الدراسة التي بين أيدينا هي إضافة حلقة جديدة لتاريخ مكة المكرمة وليس تكرارًا لما سبق دراسته، وهذا ما أود التأكيد عليه هنا بأن النقوش والكتابات التوثيقية كثيرًا ما تكشف عن أشياء جديدة أو تضيف شيئًا جديدًا أو تصحح خطأ شائعًا بين المؤرخين والباحثين[1]، وكل ذلك له أهميته القصوى خاصة ونحن نحتفل بمكة المكرمة "في عام ١٤٢٦هـ" عاصمة للثقافة الإسلامية.

وإذا كان تأمين المياه للحاج والمعتمر والمقيم والزائر والمجاور هو الشغل الشاغل للخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأثرياء من نساء ورجال على مدى التاريخ الإسلامي كما سبق أن أشرنا، فإن مكة المشرفة ونحن نحتفل بها عاصمة للثقافة في عام ١٤٢٦هـ - قد نعمت ولله الحمد والمنّه بوفرة المياه بشكل لم يسبق له مثيل، وذلك بفضل الله أولاً ثم بفضل جهود دولتنا الكريمة المملكة العربية السعودية التي استطاعت بفضل الله أن تجعل من ماء البحر الأجاج ماءً حلوًا سائغًا شرابًا يشرب منه الحاج والمعتمر والمقيم وغيرهم من المسلمين، وأنشأت محطات التحلية في منطقة الشعيبة جنوب مكة

(١) محمد فهد الفعر، الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني، رسالة دكتوراه لم تنشر، جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ص١- ٦ وانظر:-
محمد فهد الفعر، "نص منقوش على أعمدة مصلى مقام إبراهيم عليه السلام مؤرخ بسنة ٧١٩هـ" مجلة جامعة أم القرى، العدد ١٣، السنة الرابعة، ١٤١٦هـ، ص ص٩٩- ١٤٤

المكرمة، ووفرت إلى جانب الماء المحلا الطاقة الكهربائية فأصبحت مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف وغيرها من مدن المملكة تنعم بوفرة الماء وطيب الإضاءة والطرق المعبدة المريحة في التنقل بين هذه المدن وغيرها من مدن المملكة ولله الحمد والشكر.

خامسًا: الخدمات التي تقدم للحجاج والمعتمرين وسائر المسلمين ممن يزور مكة أو يقيم بها وتأمين طرق الحج

الواقع أن الخدمات التي قدمت للحجاج والمعتمرين والمجاورين والمقيمين وغيرهم من المسلمين على مدى التاريخ الإسلامي تفوق الحصر، ولا يمكن بأي حال الإحاطة بها في هذا البحث الذي يركز على عصر من العصور وهو العصر العباسي الأول، وبالتحديد القرن الثالث الهجري، لأنه القرن الذي نقش فيه نص وثيقة الوقف موضوع الدراسة من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الحديث عن الخدمات التي قدمت للحجاج وغيرهم ممن يزور مكة أو يقيم بها وتأمين طرق الحج قد تكفلت بها كتب المؤرخين والجغرافيين والرحالة بل وجدت عناية واهتمامًا خاصًا من العلماء والباحثين في العصر الحديث فألفت فيها مؤلفات خاصة وكتبت فيها رسائل علمية وبحوث متخصصة[1]،

(١) نذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الرسائل والبحوث العلمية التي اهتمت بهذه الخدمات مثل:-
سعد بن عبدالعزيز الراشد، درب زبيدة، رسالة دكتوراه، جامعة لبدز، بريطانيا، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
عبدالله عقيل عنقاري "المحمل نشأته وآراء المؤرخين فيه". مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الثاني ١٣٩١- ١٣٩٢هـ/ ١٩٧١- ١٩٧٢م.
محمد فهد عبدالله الفعر، تطور الكتابات والنقوش.
=

وسـوف يقتـصر حـديثنا هنـا عـن هـذه الخـدمات منـذ البـدايات في عهـد الخلفـاء الراشـدين وحتـى نهايـة القـرن الثالـث الهجـري بحيـث يتفـق تاريخيًـا مـع نـص وثيقـة الوقـف موضـوع الدراسـة، إذ تـشير المـصادر كـابن سـعد[١] والطـبري[٢] إلى أن الخليفـة عمـر بـن الخطـاب رضـي الله عنـه (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٤م) عنـدما توجـه مـن المدينـة إلى مكـة سـنة ١٧هـ لتأديـة العمـرة طلـب منـه أصـحاب الميـاه الإذن بإنـشاء اسـتراحات علـى طـول الطريـق مـن المدينـة إلى مكـة، فـأذن لهـم بـشرط أن يجـد كـل مـن يعـبر الطريـق المـأوى المناسـب والمـاء في الوقـت الـذي لم تكـن فيـه تـسهيلات علـى طـول الطريـق وهـذا حـسب قولـه رضـي الله عنـه "ابـن السبيل أحق بالظل والماء"[٣].

ويـروي ابـن سـعد أيـضًا: أن الخليفـة عمـر قـد أدى خدمـة عظيمـة إلى حجـاج بيـت الله الحـرام علـى طـول الطريـق بـين المدينـة ومكـة خاصـة للمـنقطعين مـنهم وأولئـك الـذين لم تتـوفر لهـم ميـاه الـشرب، كمـا قـام رضـي الله عنـه بإنـشاء الاسـتراحات والنـزل ليـتمكن الحجـاج والمـارّة مـن النـزول بهـا خـلال سـفرهم، وزودت هـذه الاسـتراحات بمـا يلـزم مـن مأكـل ومشرب وخاصة الدقيق والسويق والزبيب[٤].

=

محمد فهد عبدالله الفعر، الكتابات والنقوش.

سليمان بن صالح كمال، إمارة الحج في العصر العباسي (من سنة ١٣٢ إلى سنة ٢٤٧هـ).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٣، ص٣٠٦

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٤، ص٦٩

(٣) سعد الراشد، درب زبيدة، ص٣٤

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، جـ٣، ص٢٨٣

ويستنتج من هذا أن الخليفة عمر قد اهتم اهتمامًا بالغًا بالطريق بين المدينة ومكة، وأن وسائل المواصلات كانت متيسرة على نطاق واسع[١].

أما في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣- ٣٥هـ/ ٦٤٤- ٦٥٦م) فقد قام والي البصرة في عهده عبدالله بن عامر بن كريز بحفر الآبار[٢]، وإنشاء العديد من الاستراحات على طول الطريق من البصرة إلى مكة، وألحق بها الحدائق وأشجار النخيل فكانت النباج والقريتين وبستان بني عامر من بين تلك المحطات التي أنشأها[٣]، بل إنه زود طريق البصرة – مكة بالأسواق اللازمة حتى يكون في متناول المرأة السفر على دابتها وتسير من موقع إلى آخر في راحة ويسر حتى تصل إلى مكة[٤].

ومما يلفت النظر أن المصادر لم تسعفنا بأي معلومات عن الخدمات التي كانت تقدم للحجاج والمسافرين والمقيمين بمكة وغيرهم في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٥- ٤٠هـ/ ٦٥٦- ٦٦١م) الذي نقل مقر الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة، وربما كان للأحداث السياسية التي وقعت في عهده وانتهت باستشهاده رضي الله عنه أكبر الأثر في ذلك.

وعلى الرغم من شح المعلومات التي تشير إلى تقديم خدمات

(١) سعد الراشد، المرجع السابق، ص٣٥

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٤، ص٢٦٤

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص٤١٤، جـ٢، ص٣٣٦، جـ٥، ص٢٥٦

(٤) سعد الراشد، المرجع السابق، ص٤٣

للحجاج وغيرهم ممن يزور مكة أو يقيم بها في العصر الأموي، إلا أن الأمر الذي لاشك فيه هو أن خلفاء الأمويين كانت لهم كثير من المآثر والخدمات، فعبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م) هو أول من أنشأ محطة الثعلبية إحدى محطات طريق الحج الرئيسية على طريق مكة – الكوفة[١]، بل إن عبدالملك بن مروان هو أول من أمر بوضع الأميال على الطريق لتحديد المسافات بين كل مرحلة وأخرى[٢]، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل يشير البلاذري إلى أن عبدالملك كتب إلى عامله على مكة يأمره بعمل ضفائر للدور الشارعة على الوادي، وضفائر للمسجد الحرام وعمل الردم على أفواه السكك لتحصين دور الناس بعد الفيضانات والسيول التي اجتاحت مكة المكرمة في عهده وتسببت في خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات[٣].

والحقيقة أننا اشرنا عند حديثنا عن تأمين الماء للحجاج وغيرهم في الصفحات السابقة إلى بعض جهود الأمويين لتأمين الماء للحجاج وغيرهم بمكة، أما ماعدا ذلك من إنجازات وخدمات وأعمال أخرى في مكة على وجه الخصوص فهي غير متيسرة في الوقت الحالي وربما تكشف أعمال المسح والحفر الأثري عن أشياء تعطى صورة

(١) الحربي، كتاب المناسك، ص٢٩٦

(٢) سعد الراشد، المرجع السابق، ص٤٠

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله وعمر الطباع، بيروت، ١٩٥٨م، جـ١، ص٧٢

واضحة وجلية في هذا الإقليم الهام وغيره من الأقاليم في المستقبل[(١)].

أما في العصر العباسي فإننا نلاحظ أن الخلفاء العباسيين منذ قيام دولتهم سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، كانوا يتولون إمارة الحج بأنفسهم في بعض السنوات أو يسندونها إلى أحد كبار رجال الدولة العباسية سواء كانوا من ولاة الحرمين الشريفين أم من غيرهم[(٢)]، كما كانوا ينفقون على شئون الحج وتجهيز أمرائه في كل موسم بانتظام، وكانت هذه النفقات تخصص من ديوان النفقات في عاصمة الخلافة بغداد، أو من بيت مال الخاص الذي كان من مهامه الإنفاق على موسم الحج وكل ما يتعلق بذلك[(٣)].

بل إن خلفاء بني العباس ابتداء من أبي جعفر المنصور كانوا يرسلون الأموال لتنفق على أهل الحرمين في مكة والمدينة، فقد أعطى المنصور في إحدى سنوات حكمه عبدالله بن الحسن بن الحسن ألف ألف درهم ليقسمها على أهل الحرمين[(٤)].

وعلاوة على ذلك فإن أبا جعفر المنصور كان يتولى إمارة الحج بنفسه خلال السنوات الخمس التي حجها منذ توليه الخلافة سنة ١٣٦هـ حتى وفاته سنة ١٥٨هـ، وكان يحمل معه في كل موسم

---

(١) سعد الراشد، المرجع السابق، ص٤٠

(٢) سليمان كمال، إمارة الحج، ص٣٧٤

(٣) الصبائي، أبوالحسين هلال بن الحسن (ت٣٥٩هـ) رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، نشر المجمع العلمي العراقي، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، ص٣٧

(٤) العسكري، أبوهلال عبدالله بن سهل، الأوائل، تحقيق وليد قصاب ومحمد المصري، الرياض، منشورات دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، جـ١، ص٣٥٨

الكثير من الأموال النقدية والعينية ويوزعها على أهل مكة والمدينة، رغم ما كان يوصف به من الشح والبخل وجمع المال، ولم يتوقف عن صرف هذه الأموال وتوزيعها إلا في سنة ١٤٥هـ بسبب ثورة محمد النفس الزكية[١]، وتشير المصادر أيضًا إلى أن أبا جعفر المنصور قد بعث في إحدى السنوات إلى أمير الحرمين زياد بن عبدالله الحارثي بمال وفير وأمره بتفريقه في القواعد من النساء والعميان والأيتام في مكة والمدينة وأصبح جراية تنفق عليهم في كل سنة[٢].

أما الخليفة المهدي فقد فرق الكثير من الأموال وقام بتوزيع كثير من الكساوي على سكان الحرمين الشريفين حينما حج سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م حتى قيل إن ما فرق من الثياب بلغ مائة وخمسون ألف ثوب[٣].

وفي سنة ١٦١هـ أمر الخليفة المهدي بتجديد الأميال وأوكل أمر ذلك إلى يقطين بن موسى، وظل يقطين مسؤولاً عنها حتى عام ١٧١هـ[٤].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، جـ١، ص٢٥٣

(٢) البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ)، المحاسن والمساويء، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٥٨٧ وانظر، الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد المين، جـ٤ تحقيق فواد سيد، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص ص٤٥٧- ٤٥٨

(٣) الفاسي، العقد الثمين جـ٢، ص٧٧ وانظر:-

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م، جـ٢، ص٣٦

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، ص٤٨٣

وفي سنة ١٦١هـ أيضًا أنشأ المهدي منازل على طول الطريق بين بغداد ومكة أوسع من تلك التي أنشأها عمه السفاح وترك منازل أبي جعفر على حالها[١].

والخليفة المهدي هو صاحب التوسعتين الشهيرين للحرم المكي الشريف والتي بدأت منذ سنة ١٦١هـ وانتهت سنة ١٦٧هـ[٢].

ولم يقتصر الأمر على الخليفة المهدي بل إن زوجته الخيزران قد أنفقت كثيرًا من الأموال على سكان المدينتين المقدستين مكة والمدينة حين حجت سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م[٣].

أما هارون الرشيد (١٧٠- ١٩٣هـ/ ٧٨٦- ٨٠٩م) فكان من أكثر خلفاء بني العباس اهتمامًا بالخدمات التي قدمت للحجاج وغيرهم ممن يزور مكة أو يقيم بها، فقد تولى إمارة الحج تسع سنين كان ينفق في كل سنة منها الكثير من الأموال على سكان الحرمين وفقراء الحجيج كما كان يحجج عددًا من العلماء والفقهاء على

(١) المصدر نفسه، جـ٨، ص١٣٦

(٢) لقد تمكنت بفضل الله وتوفيقه من الوصول إلى النقوش الخاصة بتوسعة المسجد الحرام في عهد الخليفة المهدي والتي حددت نهاية العمارة بشكل قاطع سنة ١٦٧هـ من خلال أربعة نقوش سبق لي أن قمت بدراستها، انظر:-

محمد فهد الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، ص ص٢٠٢- ٢١٢

(٣) ابن تغري بردي، المصدر السابق، جـ٢، ص ص٦٨- ٧٢، وانظر:-

سليمان كمال، إمارة الحج، ص٣٨١

نفقته الخاصة[١].

بل إن هارون حين حج سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م إصطحب معه ابناه الأمين والمأمون وأنفق هو وولداه أموالاً طائلة على أهل مكة سميت بالأعطيات الثلاث[٢].

أما السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد فقد كان لها من الأعمال الجليلة ما لا يحصى أشرنا إلى بعضها عند الحديث عن تأمين المياه للحجاج والمقيمين في مكة وعلى طول طريق الحج، فضلاً عما أنشأته من منازل ومرافق ليستريح بها الحجاج[٣]، بل قيل إنها أنفقت في إحدى حجاتها على سكان الحرمين الشريفين ما يقرب من أربعة وخمسين مليون درهم[٤].

---

(١) الطبري، المصدر السابق، جـ٨، ص٣٤٧ وانظر:-
تقي الدين المقريزي، الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الشيال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م، ص٣٥

(٢) الجهشياري، أبوعبدالله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ص٢٢١- ٢٢٢ وانظر:-
ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت، منشورات دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ص٢٠٠- ٢٠١ وانظر أيضًا:-
ابن فهد، عمر بن محمد بن محمد (ت٨٨٥هـ) اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، نشر مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ، جـ٢، ص٢٣٣

(٣) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، ص٢٦

(٤) الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، بيروت، ١٣٠١هـ، جـ١٤، ص٤٣٣ وانظر:-
الذهبي، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، جـ١٠، ص٢٤١

أما الخليفة المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/ ٨١٣- ٨٣٣) فكان يبعث بعض الأموال لتوزيعها على سكان الحرمين الشريفين[1].

كما تشير المصادر إلى الاهتمام الذي أبداه الخليفة المأمون تجاه الحرمين الشريفين وخاصة في سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م حينما داهمت السيول مكة وأحدثت كثيرًا من الأضرار المادية والبشرية فقام المأمون بواجبه نحو ذلك خير قيام[2].

وعلى الرغم من أن المؤرخين المسلمين يلتزمون الصمت تجاه جهود الخليفة المعتصم (٢١٨- ٢٢٧هـ/ ٨٣٣- ٨٤٢م) نحو أهل الحرمين الشريفين إلا أنه كان يبعث أحد وزرائه ومعه نفقات أهل الحرمين، كما حدث في سنة ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م حين بعث وزيره أحمد بن عمّار البصري إلى مكة والمدينة ومعه نفقات أهلها وقدرها خمسة وعشرون ألف دينار ووصله بعشرة آلاف دينار فحج ابن عمار وفرق المال الذي بعثه الخليفة بالإضافة إلى العشرة الآف دينار التي وصله بها الخليفة على أهل المدينتين المقدستين وسمي ذلك العام بعام ابن عمّار[3].

---

(١) الطبري، المصدر السابق، جـ٨، ص٤٤٤

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، جـ٢، ص٢٦٣ وانظر:-

الرشيدي، الشيخ أحمد، حسن الصفا والإبتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق د. ليلى عبداللطيف، القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت، ص١١٠ وانظر:-

سليمان كمال، إمارة الحج، ص٣٨٦

(٣) الثعالبي، أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنصوب، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، مصر، دار النهضة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص٢٠٤ وانظر:-

الذهبي، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، جـ١١، ص١٦٥

أمـا الخليفـة الواثـق بـن المعتـصم (٢٢٧- ٢٣٢هـ/ ٨٤٢- ٨٤٧م) فقـد أحـسن إلى أهـل الحـرمين وبـالغ في إكـرامهم وتعهـدهم بـالأموال الكثيرة حتى قيل إنه لم يوجد بينهم في عهده أي سائل أو محروم[١].

وقـد وجـد سـكان الحـرمين عنايـة خاصـة مـن الخليفـة المتوكـل علـى الله (٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٧- ٨٦١م) ومـن والدتـه الـسيدة شـجاع فهـي الـتي بعثـت في سـنة ٢٣٧هـ/ بـاثني عـشر ألـف دينـار لحمايـة الحجـاج والمعتمـرين وسـكان مكـة ومجاوريهـا مـن سـيول وادي إبـراهيم الجارفة[٢].

كمـا أنفـق الخليفـة المتوكـل علـى الله فيمـا بـين سـنتي ٢٤١- ٢٤٢هـ تـسعة آلاف مثقـال ذهـب وسـبعين ألـف درهـم عملـت بهـا إصـلاحات كثيرة في المسجد الحرام[٣].

وفي سـنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م أمـر الخليفـة المتوكـل ابنـه محمـد المنتـصر بـالله بعمـارة مـضرب لراحـة الحجـاج وأبنـاء الـسبيل وأشـرف علـى عمـارة هـذا المـضرب عبـدالله بـن عمـر مـولى أمـير المـؤمنين الخليفـة

---

(١) اليعقـوبي، أحمـد بـن أبـي يعقـوب بـن جعفـر، تـاريخ اليعقـوبي، بـيروت، نـشر دار بـيروت للطباعـة، ١٤٠٠/١٩٨٠م، جـ٢، ص٤٨٣ وانظر:-

ابـن الأثـير، أبوالحسن علـي بـن محمـد، الكامـل في التـاريخ، بيروت، دار بـيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، جـ٧، ص٣١ وانظر أيضًا:-

النهروالـي، قطـب الـدين، الإعـلام بـأعلام بيـت الله الحـرام، باعتنـاء فردينـان ويستفلد، طبعـة أوربـا ليبزج ١٨٥٧م، ص١١٤

(٢) الأزرقي، أخبار مكة، جـ١، ص٣٠٦

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، جـ١، ص٣٠٦

المتوكل[١].

ويشير ابن فهد (ت ٨٨٥هـ) إلى أن نفقات الخليفة المتوكل على سكان الحرمين وصدقات الفقراء بها وإصلاح عين زبيدة في سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م بلغت ثلثمائة ألف دينار خصص منها مائة ألف دينار لأهل مكة ومثلها لأهل المدينة ومثلها أيضًا لإصلاح عين زبيدة[٢].

ويتضح من كل ما سبق أن الدولة العباسية في عصرها الأول قد اهتمت اهتمامًا بالغًا بشئون الحرمين وأهلها وتوفير الخدمات بهما وتيسير سبل العيش الكريم لسكان المدينتين المقدستين[٣]، بل أود أن أضيف هنا أن الاهتمام بمكة وأهلها بصفة خاصة وبالحرمين الشريفين عامة قد استمر بعد القرن الثالث الهجري على يدي بعض خلفاء بني العباس الذين جاءوا بعد العصر الأول وعلى سبيل المثال لا الحصر الخليفة جعفر المقتدر (٢٩٥- ٣٢٠هـ/ ٩٠٨- ٩٣٢م) الذي

(١) أنشيء هذا المضرب في عرفة ولم يشر إليه المؤرخون من قريب أو بعيد وإنما عرفنا ذلك من نقش عثر عليه في سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م أثناء أعمال الحفر الذي قامت به وزارة المواصلات السعودية لإصلاح وتوسيع بعض الطرق في منطقة عرفة وقد وصل إلينا سليمًا ونقل إلى مكتب الآثار في مكة وقد استطعت بفضل الله تصويره والعكوف على دراسته بعد إذن خاص من سعادة وكيل وزارة المعارف الأستاذ الدكتور سعد الراشد فله خالص الشكر والتقدير، وقد قمت بنشر صورة موثقة بالقراءة – قبل العكوف على دراسته دراسة شاملة – في الجزء الثاني من موسوعة آثار المملكة العربية السعودية وهو الجزء الخاس بآثار منطقة مكة المكرمة، وقد نشرت هذه الموسوعة في ثلاثة عشر مجلدًا عام ١٤٢٣هـ على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز جزاه الله خيرًا وطبعت بمطابع دار الهلال بالرياض وسوف تظهر الدراسة الخاصة بهذا النقش بعد أن انتهيت منها في إحدى المجلات العلمية المتخصصة، انظر، ص١٢٦

(٢) ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٢، ص ص٣٢٥- ٣٢٦

(٣) سليمان كمال، إمارة الحج، ص٣٩٠

كانت له أعمال جليلة بمكة المكرمة، فهو الذي جعل دار الندوة جزءًا من المسجد الحرام سنة ٣٠٦هـ، كما أنه هو الذي عمر مسجد عائشة رضي الله عنها بالتنعيم سنة ٣١٠هـ[١]، بل إن والدة الخليفة المقتدر كانت لها أعمال خيرية كثيرة فقد كانت تخرج أموالاً كثيرة توزعها على الحجاج والفقراء والمساكين بمكة وتزودهم بالطعام والشراب، كما أوقفت كثيرًا من الدور بمكة والمدينة على الضعفاء والمساكين والأرامل[٢].

أما تأمين طرق الحج فقد كانت محل اهتمام الخلفاء المسلمين منذ عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١١- ١٣هـ/ ٦٣٢- ٦٣٤م) حينما ارتدت بعض القبائل العربية عن الإسلام وامتنعت أخرى عن دفع الزكاة وهي قبائل أسد وغطفان وطيء بزعامة طليحة الأسدي الذي أدعى النبوة، فأمر الخليفة أبوبكر بإنشاء القواعد الحربية على طول الطريق خاصة بين سميراء والربذة[٣]. أما الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٤م) فقد

(١) عن هذا المسجد والنقش الذي يؤرخ لعمارته بسنة ٣١٠ انظر:-
محمد الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، ص ص٢٤٨- ٢٥٥ لوحة ٤٢

(٢) الفاسي، شفاء الغرام جـ١، ص٣٤٥ وانظر:-
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٣، ص٢٣٩ وانظر أيضًا:-
عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، دمشق ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م، الطبعة الثانية جـ٥، ص٧٠

(٣) الطبري، المصدر السابق، جـ٣ ص ص٢٤٤- ٢٥٧ وانظر:-
سعد الراشد، درب زبيدة، ص٤١

كان على علم كاف بحال الطريق وخاصة الطريق الموصلة إلى العراق فقدم نصيحته لقائد جيش المسلمين سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالأماكن التي يعسكر فيها[١].

ولما توسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه نتيجة الفتوح ازداد عدد المسلمين فترة خلافته ونتج عن ذلك ظهور مدينتين إسلاميتين جديدتين هما البصرة والكوفة في سنتي ١٦هـ، ١٧هـ، كان لابد من ربطهما بطرق برية آمنة وتم ذلك فعلاً في عهد عمر رضي الله عنه مما مكّن المسلمين وجنودهم الذين كانوا يحاربون في العراق وفارس من تأدية فريضة الحج أو العودة إلى ذويهم بيسر وسهولة[٢].

ولاشك أن خلفاء بني أمية قد بذلوا جهودًا كبيرة لتأمين الطرق والمواصلات بين مختلف بلدان الخلافة الإسلامية بعد أن توسعت حدود الدولة الإسلامية في العصر الأموي نتيجة توالي الفتوحات وخاصة بين دمشق العاصمة والأراضي المقدسة[٣].

وفي العصر العباسي الأول الذي نحن بصدد دراسة نص وثيقة الوقف الذي نقشت فيه – كان الخلفاء يعينون أمراء للحج في كل موسم جعلوا من أول واجباتهم حراسة قافلة الحج من مخاطر السّلب والنهّب عند اختلال الأمن بالطرق إلى أن يبلغوا بها الأراضي المقدسة

(١) الطبري، المصدر السابق، جـ٣، ص ص٤٨٦- ٤٨٨ وانظر:- سعد الراشد، درب زبيدة، ص٤٢

(٢) سعد الراشد، درب زبيدة، ص٤٢

(٣) المرجع نفسه ، ص٤٢

والعودة منها بأمان[١].

وكان خلفاء بني العباس يكلفون من يتولى ولاية الطريق بحفظ الأمن وفي نفس الوقت توفير الخدمات فإذا أثبت والي الطريق كفاءة ارتفع قدره وأصبح مشاركًا في أحداث الموسم مع أمير الحج[٢]، كما كانوا يراعون أن يكون مقر والي الطريق في منتصف الطريق، ولذلك كانت محطة "فيد" من المحطات الرئيسية على طريق الحج بين مكة والكوفة نظرًا لموقعها المتوسط والاستراتيجي في وسط الجزيرة العربية، كما كان لها أهمية خاصة عند الحجاج فكانوا يودعون أزوادهم وممتلكاتهم عند أهل فيد حين ذهابهم للحج ومن ثم يأخذونها في طريق العودة[٣].

وقد بلغ من ازدهار هذه المحطة وأهميتها أنها كانت تحاكي البصرة والكوفة وباقي المدن الإسلامية التي أنشئت في صدر الإسلام[٤].

ونظرًا لموقعها المتوسط فقد كان والي الطريق المقيم "بفيد" يستطيع الحركة في أي اتجاه بسرعة يستطيع معها القبض على المفسدين بالطريق وذلك حفظًا للأمن يساعده في ذلك أن فيد تعتبر حلقة وصل بين بغداد ومكة المكرمة[٥]. وقد ظلت طرق الحج آمنة في

(١) سليمان كمال، المرجع السابق، ص٢١٣

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، ص ص١٤٠، ١٩٦

(٣) سعد الراشد، درب زبيدة، ص١٩٥

(٤) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٥) سليمان كمال، إمارة الحج، ص٢١٣

العصر العباسي الأول، ولم يسجل المؤرخون أي أحداث تخل بأمن الطريق طيلة عهد الخليفة أبوالعباس السفاح من سنة ١٣٢- ١٣٦هـ[١].

أما الخليفة أبوجعفر المنصور ١٣٦- ١٥٨هـ فقد كان مهتمًا بالطرق اهتمامًا بالغًا فكان يقسم وقته في العمل فيكون صدر نهاره في مطالعة أمور الدولة وأمن السُّبل وحفظ أرواح السالكين من حجاج وغيرهم، وإذا صلى العصر جلس إلى أهل بيته وإذا صلى العشاء الآخرة نظر فيما يرد إليه من كتب الثغور والأطراف إلى أن يمضي ثلث الليل قام إلى فراشه...الخ[٢].

ويروى أن أبا جعفر المنصور لم يكتف بتولي إمرة الحج بنفسه عدة سنوات بل إنه أمر في سنة ١٤٥هـ/ ٦٧٢م بمنع الناس من الحج خشية أن يتعرض الحجاج لأي أذى بسبب الفتن والاضطرابات التي صاحبت ثورة محمد النفس الزكية، وكتب إلى عماله في مصر والشام بذلك[٣]، وكان لهذا الإجراء أثره على الناس التي كانت تريد الحج، فضلاً عن تأثيره على أهل الحرمين الشريفين من الناحية الاقتصادية[٤].

---

(١) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٢) الطبري، المصدر السابق، جـ٨، ص٧٠ وانظر:-
ابن الأثير، الكامل، جـ٥، ص٤٧

(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار صادر، دون تاريخ، جـ١، ص٣٠٧ وانظر:-
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٢، ص ص١- ٣

(٤) سليمان كمال، المرجع السابق، ص٢١٧

وعلى الرغم من الأحداث الكثيرة التي وقعت في عهد أبي جعفر المنصور وكان لها أثرها البالغ على أمن طرق الحج مثل ثورة النفس الزكية المشار إليها ، أو ما قام به الأكراد من إفساد وقطع للطرق حول الموصل والجزيرة وخشية الناس من الخروج للحج، أو ما قام به الأحباش من هجوم مباغت وأعمال سيئة عند إغارتهم على جده سنة ١٤٨هـ، وإرسال المنصور جيشًا لمحاربتهم، إلا أن المنصور بحزمه وحنكته وخبرته في الحكم استطاع أن يفرض الأمن ويعيد الأمان إلى طرق الحج[١].

ونستدل من وصيته لابنه المهدي سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٤م – وهي آخر سنة تولى فيها إمارة الحج بنفسه وتوفي فيها قبل إتمام نسكه – على ما كان يتمتع به أبوجعفر المنصور من حنكة وقوة ودهاء وذلك حين يقول في وصيته: "واشحن الثغور بالمسالح واضبط الأطراف وأمِّن السُّبل وسكِّن العامة وادخل الرفق عليهم وادفع المكاره عنهم"[٢].

وعلى الرغم من أن طرق الحج كانت آمنة بصفة عامة خلال العصر العباسي الأول[٣] ١٣٢- ٢٣٢هـ إلا أن ذلك لم يمنع ظهور بعض المشكلات الأمنية التي تصدى لها الخلفاء بكل حزم فنجد الخليفة

(١) ابن خياط، أبوعمر خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم العمري، الرياض، نشر دار طيبة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ص٤٢٥- ٤٣١

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٥، ص ص٤٣- ٤٤ وانظر:
العصامي، عبدالملك بن حسين، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، القاهرة، نشر المطبعة السلفية ومكتبتها، جـ٣، ص ص٢٦١- ٢٦٢

(٣) سعد الراشد، المرجع السابق، ص٩١

المهدي يختار أفضل رجاله لإصلاح طريق العراق – الحرمين الشريفين وضبط الأمن فيها وهو يقطين بن موسى الذي عرف بحزمه وقدرته على ضبط الأمن في طريق الحج بين بغداد ومكة وإصلاح الطريق وتعميره حتى أصبح من أرفق الطرق وآمنها ومكث يقطين واليًا على الطريق مدة أحد عشر سنة من ١٦٠- ١٧١هـ أي حتى بعد وفاة المهدي سنة ١٦٩هـ[1] رغم اعتداء عرب بادية البصرة على طريق الحج في موسم سنة ١٦٧هـ مما اضطر الخليفة إلى إرسال جيش لمحاربتهم ومواجهة جيش المهدي لحرب شرسة من هؤلاء البادية بسبب تكاثر العربان وازداد شرهم وكثر إفسادهم يساعدهم في ذلك معرفتهم بمسالك الصحراء وكان هذا أول إعتداء مباشر على طريق الحج العراقي في العصر العباسي الأول استطاع المهدي بعد جهد القضاء عليه[2].

أما الخليفة هارون الرشيد فقد استتب أمن طرق الحج في عهده لشدة اهتمامه بذلك بل إنه حاول أن يوصل البحر الأحمر بالبحر المتوسط عن طريق شق قناة توصل بين البحرين وتسهل نقل الحجاج والطعام والميرة من حوض البحر المتوسط إلى البحر الأحمر ومن ثم إلى الحرمين الشريفين إلا أنه أشير عليه بعدم شق هذه القناة خشية أن يستخدمها الروم بسفنهم للهجوم على أرض العرب ويكون في ذلك

(١) الطبري، تاريخ جـ٨، ص١٣٦ وانظر:-
ابن خياط، تاريخ، ص ص ٤٢٩- ٤٣٠

(٢) ابن الأثير، الكامل، جـ٥، ص٦٩ وانظر:-
سليمان كمال، إمارة الحج، ص ص٢٢٢- ٢٢٣

خطرًا على سلامة الحجاج والمعتمرين بل على الحرمين الشريفين ومن فيه من مقيمين ومجاورين خاصة أن هجمات الروم كانت مباغتة وسريعة، ولذلك عدل الرشيد عن هذه الفكرة بعد اقتناعه بما قد تحتمله من مخاطر[1].

بل إن مدينة جدة أصبحت دار رباط في عهد الخليفة هارون الرشيد وذلك منذ أواخر سنة ١٨٢هـ بسبب هجمات الأحباش المفاجئة، وكان الفضل في جعل جدّه مكانًا لمرابطة المجاهدين يعود إلى أمير مكة في ذلك الوقت عبد الله بن محمد بن إبراهيم العباسي للجهود التي بذلها في سبيل طرد الأحباش وإبعاد خطرهم، بل إن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد بعد أن استأذن الرشيد في أداء العمرة في رمضان سنة ١٨٥هـ وأدى العمرة توجه إلى جدّه بنيّة الرباط فرابط بها إلى موسم الحج فحج وعاد إلى العراق[2].

ولم يقتصر اهتمام الرشيد على أمن طريق العراق الحرمين الشريفين، بل وجد طريق الشام اهتمامًا خاصًا منه حين عين أخاه إبراهيم أميرًا للحج بالإضافة إلى ولايته على دمشق وأمره بحفظ الأمن

---

(١) المسعودي، أبو الحسن علي بن حسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، دار المعرفة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، جـ٢، ص ص٢٦٣- ٢٦٤ وانظر:-

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، بيروت ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص١٦٦ وانظر أيضًا:-

سليمان كمال، المرجع السابق، ص٢٢٦

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، ص٨٧، وانظر:-

ابن ظهيره، جمال الدين محمد بن جار الله، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص٨١

بطريق الحج وقد أثبت إبراهيم كفاءة عالية في ذلك، وظل طريق الحج الشامي وبلاد الشام آمنة تمامًا في عهد ولايته[١].

كما كان لطريق الحج اليمني نصيبه من إهتمام الرشيد حين عيّن مولاه حمّاد البربري واليًا على اليمن وظل واليًا عليها إلى سنة ١٩٣هـ فقام حمّاد بتأمين السّبل والظفر بالخارجين على أمن الدولة وخاصة الهيصم بن عبدالمجيد الهمزاني الذي أخاف السبل وخاصة طريق الحج اليمني واستطاع حمّاد القبض عليه ومن معه وبعث به إلى الرشيد في بغداد حيث قام بضرب عنقه ومن معه من المفسدين[٢].

والحقيقة أن ما أشرنا إليه من حوادث اختل فيها أمن طرق الحج في عهد الخليفة هارون الرشيد إنما هي مجرد أمثلة سقناها لندلل على ما بذله هذا الخليفة وولاته من جهود في قمع المفسدين في فترة خلافته التي إمتدت ثلاثًا وعشرين سنة من ١٧٠- ١٩٣هـ وأعاد لطرق الحج أمنها وأمانها.

أما في عهد الخليفة الأمين بن هارون الرشيد (١٩٣- ١٩٨هـ/ ٨٠٨- ٨١٣م) وخاصة في أواخر خلافته ظهر الخلاف بينه وبين أخيه المأمون، وانعكس أثر ذلك على أمن الطرق، فقد استغل العابثون والمفسدون هذا الخلاف فعاثوا في الأرض فسادًا، كما ظهرت كثير من الفتن والقلاقل حول المدينة المنورة مما جعل أمير الحرمين داود بن

(١) ابن خياط، تاريخ، ص٤٥٧ وانظر:-

الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص ص٥٥٧- ٥٥٩ وانظر أيضًا:-

سليمان كمال، المرجع السابق، ص٢٢٧

(٢) ابن خياط، تاريخ، ص٤٦١

عيسى بن موسى يجهز جيشًا بقيادة محتسب المدينة المنورة عبدالله بن محمد الزبيري لمحاربة هؤلاء المفسدين فاستطاع الزبيري الانتصار عليهم وكف أذاهم عن الحجاج والمعتمرين والمجاورين(١)، بل إن الحجاج وغيرهم من المعتمرين والمقيمين قد عانوا أشد المعاناة في موسم حج سنة ١٩٩هـ بسبب خروج أبي السّرايا السّري بن منصور داعية لابن طباطبا الشيعي، واستولى على الكوفة وأرسل أحد قواده وهو حسين بن حسن الأفطس لإقامة الموسم واستطاع الأفطس أن ينحي أمير الحج من قبل الخليفة داود بن عيسى عن إمارة الحج في تلك السنة ووقف الناس بعرفة بدون إمام كما لم يستطع حجاج خراسان والجزيرة وبغداد أن يحجوا في هذه السنة بسبب هذه الفتنة(٢)، ولذلك اضطر الخليفة المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/ ٨١٣- ٨٣٣م) أن يولي إمارة الحج في سنة ٢٠٠هـ أخاه المعتصم ويأمره بإعادة الأمن وبسط نفوذ العباسيين مرة أخرى على الحرمين الشريفين، وفعلاً استطاع المعتصم أن يعيد الأمن لطرق الحج وأن ينشر الأمان في نفوس الحجاج والمجاورين والمقيمين وأن يقبض على حسين الأفطس ومحمد بن جعفر ومن معهما وأن يبعث بهما إلى الخليفة المأمون في خراسان(٣).

---

(١) ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبدالله، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني ١٣٨١هـ/١٩٦١م جـ١، ص٢٥٢ وانظر أيضًا:-
الطبري، تاريخ، جـ٨، ص ص ٣٧٣، ٤١٧

(٢)ابن خياط، تاريخ، ص ص٥٣١- ٥٣٣ وانظر: -
سليمان كمال، إمارة الحج، ص٢٣٣

(٣) ابن خياط، تاريخ، ص٤٧٠ وانظر، الطبري، تاريخ، جـ٨، ص٥٤١ وانظر أيضًا:-
=

وقد عرف عن المعتصم بالله (٢١٨- ٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م) شدة اهتمامه بأمن طرق الحج يؤكد ذلك قول محمد بن علي الإخباري حين سأله الخليفة القاهر بالله عن الخليفة المعتصم فقال: "... وعم أفضاله وأمنت به السّبل في أيامه"[(١)]، وكان المعتصم لا تأخذه بالمفسدين وقطاع الطرق شفقة ولا رحمة[(٢)].

كما اشتهر الخليفة الواثق بالله (٢٢٧- ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ -٨٤٧م) بمناهضته لعدد من قبائل الحجاز الذين جعلوا طرق الحج غير مأمونة لكثرة غاراتهم وسلبهم ونهبهم لقوافل الحجيج وخاصة في الأقاليم الواقعة حول الأراضي المقدسة وخاصة سنة ٢٣٠هـ، ولذلك نجده يسند أمر قمع هذه القبائل إلى قائده التركي بغا الكبير الذي انتصر أولاً على قبيلة بني سليم، ثم شن حملات متتالية على قبائل نمير وبني هلال سنة ٢٣٢هـ التي كانت تتربص دائمًا بحجاج بيت الله الحرام بالسلب والنهب وغير ذلك[(٣)].

ولم يكتف الخليفة الواثق بحرب هذه القبائل، بل إنه ولّى رجلين من كبار رجال الدولة الأشراف على الطريقين الرئيسيين

=

الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ٢، ص ص١١٢- ١١٥

(١) المسعودي، مروج الذهب، جـ٤، ص٣١٩

(٢) سليمان كمال، إمارة الحج، ص ص٢٣٦- ٢٣٧

(٣) الطبري، تاريخ جـ٩، ص ص١٢٩- ١٣٥ وانظر ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ص١٩- ٢٩ وانظر أيضًا:- سعد الراشد، درب زبيدة، ص٥٢

للحج، أحدهما اسحق بن إبراهيم بن أبي حميضة فجعله واليًا على اليمامة والبحرين ومشرفًا على طريق البصرة – مكة[١]، وجعل عمر بن فرج الرخجي مشرفًا على طريق الكوفة – مكة[٢].

أما المتوكل على الله (٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٧- ٨٦١م) فلم يكن أقل شئنًا ممن سبقه من الخلفاء واتبع نفس سياسة أخيه الواثق، فقد عين مشرفين على طرق الحج من أهل الكفاءة والثقة، فقد أبقى علي يحيى بن هرثمة الذي كان مشرفًا على طريق الكوفة منذ عهد أخيه الواثق حتى قدومه من مكة سنة ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م وقد اصطحب معه محمد بن علي العلوي الذي قبض عليه في المدينة المنورة[٣]، كما عين المتوكل جعفر بن دينار مشرفًا أيضًا على طريق الكوفة منذ سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م[٤] وكان قبلها واليًا على اليمن منذ سنة ٢٢٤هـ وتولى الإشراف بضع سنين حتى ولى المتوكل بدلاً منه أبو الساج سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م، واستطاع أبو الساج أن يقضي على فتنة محمد بن صالح الحسني ضد المتوكل في المدينة المنورة[٥]. بل إن طريق مكة – المدينة قد وجد عناية خاصة من الخليفة المتوكل، فبالإضافة إلى تزويده بالمرافق اللازمة وحفر الآبار زوده أيضًا بالأعلام والأميال،

(١) الطبري، تاريخ، جـ٩، ص١٤٠

(٢) سعد الراشد، درب زبيدة، جـ ٥٢

(٣) الطبري، تاريخ، جـ٩، ص١٦٣

(٤) نفس المصدر، نفس الجزء، ص٢١٠

(٥) نفس المصدر، نفس الجزء، ص٢١٠، وانظر:-

ابن الأثير، الكامل، جـ٥، ص ص٢٩٣- ٢٩٨

كما أمر ببناء الحصون في بعض الأماكن الهامة على طول الطريق[١].

أما أمن طرق الحج والمرافق والإصلاحات بعد عهد المتوكل فقد تدهورت تدهورًا كبيرًا وأصبح من الصعب متابعة الأحداث الكثيرة والكبيرة التي أدت إلى تدهور أمن طرق الحج حتى لا يخرج البحث عن طاقه التاريخي، وازدادت غارات القبائل على الحجاج والقوافل، بل إن مكة والمدينة شرفهما الله لم تسلما من القلاقل ولم تنعما بالأمن، كما كان لظهور القرامطة في شرقي الجزيرة العربية وما أحدثوه من فوضى وما عاملوا به الحجاج والمسافرين من قسوة وتحطيم وإتلاف للمرافق على طول طرق الحج وخاصة طريقي الحج الرئيسيين البصرة – مكة، والكوفة – مكة، وما أحدثوه من فظائع داخل مكة شرفها الله مما اضطر خلفاء بني العباس بعد ذلك إلى وضع حراسة مكثفة للعديد من محطات الطرق، بل أصبح لكل قافلة قائدًا وحراسة عسكرية مرافقة لها[٢].ولكن اتسع الشق على الراقع ولم تعد طرق الحج آمنة إلا في فترات يسيرة حتى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

سادسًا: جواز تأجير بيوت مكة المكرمة أو بيعها أو وقفها:

اختلف العلماء في حكم بيع دور مكة وإجارتها، فقد روي عن مالك في أحد أقواله أنه كره بيعها أو كراءها فإن بيعت أو أكريت

(١) الحربي، كتاب المناسك، ص ص٣١٩، ٣٤٤ وانظر:-

سليمان كمال، إمارة الحج، ص ص٢٤٢- ٢٤٥

(٢) سعد الراشد، درب زبيدة، ص٥٤

لم يفسخ[١].

أما جواز بيعها وكراها فقد بُنيَ على أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمنّ بها على أهلها، فلم تقسم قسمة الغنائم أو الفيء وذلك تعظيمًا لحرمة مكة شرفها الله[٢].

وأما ما ذكر من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص المتضمِّن "من أكل كراء بيوت مكة فإنما يأكل نارًا"[٣] فإنه حديث موقوف وليس مرفوعًا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يحتج به على تحريم كراء بيوت مكة كما صرح بذلك تقي الدين الفاسي[٤] (ت٨٣٢هـ) وهو من كبار فقهاء المالكية وقضاتهم في عهده.

ويشير الأزرقي (ت٢٥٠هـ) إلى أن طاووسًا وعمرو بن دينار كانا لا يريان بأسًا بكراء بيوت مكة، بل إن عمرًا بن دينار حين ذكر له قول ابن المخارق في شأن مكة وأنه لا تباع تربتها ولا يكرى ظلّها قال "جاءوا به على الرويِّ يا خراساني"[٥].

وفي رواية أنه قال: "جاءك به على الرّوي"[٦]، وذلك دليل على

(١) الفاسي، شفاء الغرام، جـ١، ص٢٦

(٢) نفس المصدر، نفس الجزء والصفحة.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، جـ٢، ص١٦٣

(٤) الفاسي، المصدر السابق، جـ١، ص٢٦

(٥) الأزرقي، المصدر السابق، نفس الجزء، ص١٦٦

(٦) الفاكهي، أبوعبدالله محمد بن إسحق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن دهيش، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، جـ٣، ص٢٤٩

إنكاره لقول ابن أبي المخارق.

ومما يدل على جواز بيع دور مكة أيضًا، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى الدور المحيطة بالمسجد الحرام وأدخلها فيه توسعة له، كما اشترى رضي الله عنه دارًا للسجن بأربعة آلاف درهم[١]، وكذلك فعل عثمان بن عفان وعبدالله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان حين اشترى دار الندوة ودار أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وغيرها من الدور[٢].

ومعلوم بالضرورة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره ممن ذكرنا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من غيرهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يصلح في أرض مكة، كما أنه وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا في العلم والورع والتقى بالمحل الأعلا[٣].

ويرجع الاختلاف بين العلماء في جواز بيع دور مكة وكراها إلى فتح مكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل فتحت عنوة[٤] أم فتحت صلحًا[٥]، والواقع أن مكة فتحت عنوة، والخلاف هو

---

(١) الفاسي، المصدر السابق، نفس الجزء، ص ص٢٦- ٢٧

(٢) نفس المصدر، نفس الجزء، ص٢٦

(٣) المصدر نفسه، جـ١، ص٢٦

(٤) المصدر نفسه، ص٢٧

(٥) محب الدين الطبري، أبوالعباس أحمد بن عبدالله، القري لقاصد أم القرى، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٢٥٩

هل منّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهلها؟ وهو الأصح، أم أنها فتحت صلحًا لأن فتحها صلحًا يخالف ظاهر الأحاديث الواردة في صفة فتح مكة، ويخالف أيضًا قول جمهور العلماء رحمهم الله في أنها فتحت عنوة[١]، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل في حجة الوداع عن المكان الذي سوف يقيم به، وهل سيعود إلى داره التي تركها وهاجر إلى المدينة قال: "وهل ترك لنا عقيل منزلاً" ونزل عليه الصلاة والسلام بخيف بني كنانة"[٢].

واللافت للنظر أن مؤرخي مكة منذ الأزرقي والفاكهي ومن جاء بعدهما كالفاسي وغيره لم يشيروا إلى جواز وقف بيوت مكة، وربما يرجع ذلك إلى أن الوقف وما ينتج عنه من مصالح لعموم المسلمين، وما يترتب عليه من نتائج خيرية سواء كان وقفًا خيريًّا أو أهليًا أولى في الجواز من البيع والكراء لما فيه من الأعمال الصالحة التي يرجى ثوابها عند الله سبحانه وتعالى في الدار الآخرة، ومازالت مكة تحتوي على كثير من الأوقاف رغم ضياع كثير منها على مر العصور، ولاشك أن صاحب هذا الوقف الذي نحن بصدد دراسة وثيقته هنا قد رغب في الأجر والثواب شأنه شأن غيره من أصحاب الأوقاف الخيريّة ولذلك أوقف دارًا وحوانيتًا وسقاية بالشروط المذكورة في الوثيقة على وجوه الخير.

سابعًا: تحليل حروف النص ووضع تاريخ له مستندًا في ذلك إلى

---

(١) الفاسي، المصدر السابق، نفس الجزء، ص ص٢٦- ٣٧

(٢) الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، جـ٣، ص٢٥٣

خصائص الكتابة العربية في هذا القرن:

١- نقش نص هذه الوثيقة بالخط الحجازي المزوى المورق بطريقة الحفر الغائر، ولكنه ليس بالعميق بدليل أن بعض كلمات النص وحروفه تبدو باهتة وضعيفة ابتداء من السطر الرابع وربما يعود ذلك لصلابة الحجر نفسه.

٢- يلاحظ ظهور التوريق في بدايات حروف النص على هيئة ورقة نباتية ثنائية الفصوص وبصفة خاصة الألفات واللامات وفي كلمة واحدة فقط ظهر التوريق ثلاثي الفصوص في كلمة "بن" في عبارة "بن أحمد" في السطر الثالث والواقع أن التوريق سواء كان ثنائي الفصوص أو ثلاثي الفصوص ظهر أول ما ظهر في القرن الثالث بينما تخلو نصوص القرنين الأول والثاني من أي زخرفة إلا في نصوص قليلة جدًا إن لم تكن نادرة، وذلك لأن القرن الثالث الهجري غني بالكتابات سواء كان تذكارية[١]، أو تأسيسية فعددها يفوق الحصر بحيث تساعد الباحث في تتبع وتطور ظواهرها الخطية، وبالتالي تسهل على الباحث معرفة القرن الذي كتبت فيه وبالإضافة إلى التوريق ظهر "التفطيح" في نهايات كثيرة من الحروف شبيهة بالمثلثات المطموسة أو الشقوق السهمية والتي ظهرت بشكل واضح في نقوش حجازية تفوق الحصر في هذا القرن، وهذه الشقوق السهمية تعتبر من مميزات مدرسة الحجاز، لأن المدارس الخطية الإسلامية الأخرى

(١) إبراهيم جمعه، دراسة تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٩م، ص١٥٥

اشتهرت بضخامة ألفاتها ولاماتها وانتهائها بمثلثات مطموسة[١] أو مثلثات مسننة.

٣- على الرغم من أن ناقش النص قد وفق إلى حد كبير في استقامة الأسطر والتناسب في حجم الكلمات في السطر الواحد، إلا أن بعض الأسطر أقصر من بعض، وأقل عددًا في كلماتها وبخاصة في الأسطر الخمسة الأولى، بينما يزيد حجم الأسطر ابتداء من السطر السادس وبالتالي عدد الكلمات، وربما يرجع ذلك إلى عدم التمكن من تهيئة الحجر وتسوية سطحه وإعداده للحفر، فاللوح الحجري يقل عرضه في أعلاه عن عرضه في أسفله، وهناك احتمال تعرض اللوح الحجري للكسر أثناء إعداده للكتابة أو أثناء نقله من مكانه الأصلي، مما أفقدنا بعض كلماته وربما تاريخه أيضًا، ولكن رغم فقدان تاريخ النص إلا أننا لم نفقد معرفة موضوع الوقف فهي واردة بالنص، كما أن مصارف الوقف محدده، فضلاً عن أن الموقوف عليهم قد حددته الوثيقة.

٤- طريقة تنفيذ النص تدل على الأرجح أن الخطاط أو النقاش الذي نقشه هو خطاط ونقاش محلي مكّي، فأسلوبه أسلوب الخط الحجازي الذي رأيناه على مئات النصوص سواء داخل مكة أو المناطق التابعة لها أو غيرها من أقاليم الحجاز، كما أن خط نص هذه الوثيقة يعتبر متوسط الجودة بالنسبة لنقوش هذا القرن فقد ظهرت نصوص كثيرة أقل منه جودة، كما ظهرت نصوص أكثر جودة

---

(١) المرجع نفسه، ص١٥٨

واتقانًا مثل نقوش مبارك المكي المؤرخة بسنة ٢٤٣هـ والتي تعتبر من أفضل النماذج الكتابية في هذا القرن ليس في الحجاز بل ربما في العالم الإسلامي بأسره.

٥- هناك ملاحظة تتعلق بحرف الياء النهائية التي ظهرت في نهاية السطر السابع على هذا النحو "   " وهي ياء حجازية لم نر لها نظيرًا في غير النقوش الحجازية (المكّية والمدنيّة) ظهرت في نقوش مكة منذ القرن الثاني الهجري في نصي مسجد البيعة بمكة المكرمة المؤرخ أحدهما بسنة ١٤٤هـ[١]، وهذا دليل آخر على أن ناقش النص ينتمي إلى المدرسة الحجازية وفي مكة المكرمة على وجه الخصوص، ولم يعرف أن هناك خطاطًا أو نقاشًا نقش نصوصه وكتاباته من خارج مكة أو المدينة في مكة والمدينة إلا في حالتين استثنائتين إحداهما في سنة ١٦٧هـ حين بعض الخليفة المهدي بخطاطين ونقاشين من الكوفة لتوثيق عمارته للمسجد الحرام وتسجيل تاريخها[٢]، والأخرى حين بعث السلطان عبدالمجيد العثماني بالخطاط التركي عبدالله زهدي للكتابة على جدران وقباب المسجد النبوي وتوثيق هذه العمارة في القرن الثالث عشر الهجري، ولذلك نجد أن هذا الخطاط يفخر بعد ذلك بما قام به من عمل وبما أتيحت له من فرصة بحيث أصبح يوقع على أعماله الخطية بـ "خطاط الحرمين الشريفين"[٣]

(١) المرجع نفسه، ص ص ١٨٩- ١٩٦، لوحة ٢٧، ٢٨

(٢) المرجع نفسه، ص ص٢٠٢- ٢١٢، لوحة ٣٠، ٣١، ٣٢

(٣) محمد الفعر، الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني، ص٥١٠

وماعدا هاتين الحالتين الاستثناء فإن جميع النقوش والكتابات المكية والمدنيّة قد نفذت بأيدي خطاطين محليين.

ويلاحظ أيضًا أن هذه الياء النهائية التي أشرنا إليها في هذا النص قد ظهرت أكثر ليونة في أكثر من موضع كما هو الحال في كلمة "على" في عبارة "تستغل على" في السطر السادس، وكلمة "في" في السطر السابع وفي حرف الياء في عبارة "في هذه" في بداية السطر الثامن، وفي كلمة "شيء" في السطر العاشر في عبارة "من شيء".

٦- وردت كلمة "ذلك" بزيادة ألف هكذا "ذالك" في عبارة "بحقوق ذلك" في السطر الرابع مع أن الصحيح عدم ظهور الألف وإنما تقديرها لفظًا لا كتابة، بينما كتبت صحيحة في آخر كلمة بالنص.

٧- يلاحظ أن الخطاط أو النقاش لم ينقش إسمه أو توقيعه أو تاريخ النص مع أن النقوش الحجازية تعتبر من أقدم النقوش التي ذكر إسم ناقشها أو توقيعه، وكذلك التاريخ، ولا نستطيع أن نجعل ذلك قاعدة عامة بل ظهرت كثير من النقوش الحجازية خالية من اسم ناقشها أو توقيعه أو تاريخ النص أو نقشه.

ثامنًا: دراسة مقارنة لحروف النص موضوع الدراسة مع نص آخر من بعض أقطار العالم الإسلامي:

إن الدراسة المقارنة الصحيحة لا يمكن أن تقوم على مقارنة نصوص تنتمي جميعها إلى مدرسة واحدة مثل مدرسة الحجاز، ولكن تقوم على مقارنة نصوص تنتمي إلى مدارس خطية إسلامية أخرى، وقد اخترت هنا أن أقارن النص موضوع الدراسة مع نص آخر ينتمي إلى

المدرسة المصرية للاعتبارات التالية:-

١- أن المدرسة المصرية تعتبر من المدارس الإسلامية الكبرى في مجال الخط والكتابة والنقوش، وتمكن الخط فيها تمكنًا كبيرًا منذ كانت إقليمًا تابعًا للخلافة الإسلامية في عصر الراشدين ثم في العصرين الأموي والعباسي حتى أصبحت مركزًا للخلافة والسلطنة سواء في العصر الفاطمي أم في العصرين الأيوبي والمملوكي بل وحتى في العصر العثماني حيث كانت مصر من أهم الأقاليم الإسلامية العثمانية.

٢- إن النص الذي تم إختياره للمقارنة يعود إلى منتصف القرن الثالث الهجري تمامًا فهو مؤرخ بشهر شوال سنة ٢٥٠هـ.

٣- يتميز النص المختار للمقارنة بوضوحه، فضلاً عن أنه كامل الحروف والكلمات، ولم يتعرض أي جزء منه للكسر أو التلف.

أما أوصافه فهي على النحو التالي:

يتألف هذا النص من اثنى عشر سطرًا منقوشة بالخط الكوفي الغائر المورق، على مادة رخامية وقياساته ٤٤ × ٥٦سم، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ٨٨٣٥، وقد نشره جاستون فييت[١] في المجلد الثاني من شواهد القبور، كما قام بدراسته د.

---

(١) Wiet (G.): Steles Funereires, Tome II (Le Caire ١٩٣٢) P. ١٧٦

إبراهيم جمعه[1]، ونصه على النحو التالي:-

١- بسم الله الرحمن الرحيم.

٢- هذا ما تشهد به حميدة.

٣- ابنت رباح تشهد الا.

٤- لا الله وحده لا شريك.

٥- له وأن محمدًا عبده ورسو

٦- له أرسله بالهدى ودين

٧- لحق ليظهره على الدين كله

٨- ولو كره المشركون وأن الجنة

٩- حق والنار حق وأن الساعة آتية

١٠- لا ريب فيها وأن الله يبعث من في

١١- القبور توفيت في شوال سنة

١٢- خمسين ومائتين.

١- وبمقارنته بالنص موضوع الدراسة نجد أن كلا النصين قد نقشا بالحفر الغائر وإن كان النص المصري تظهر حروفه غليظة مقارنة بالنص الحجازي الذي تظهر حروفه دقيقة نسبيًا.

٢- يلاحظ أن ناقش النص المصري على دراية بقواعد اللغة

(١) إبراهيم جمعة، المرجع السابق، ص١٨٣

العربيـة، فلـيس هنـاك أخطـاء لغويـة أو كتابيـة بـالنص بينمـا ظهـرت في الـنص الحجـازي بعـض الأخطـاء مثـل كتابتـه لكلمـة "ذلـك" في السطر الرابـع حيـث أضـاف لها حـرف ألـف فكتبهـا علـى هـذا النحـو "ذالـك" مـع أن الألف هنا تقدر لفظًا لا كتابة.

٣- علـى الـرغم مـن أن نـاقش الـنص موضـوع الدراسـة قـد وفـق إلى حـد كـبير في اسـتقامة الأسـطر والتناسـب في حجـم الكلمـات في السطر الواحـد، إلا بعـض الأسـطر أقـصر مـن بعـض وأقـل عـددًا في كلماتهـا وبخاصـة في الأسـطر الخمسة الأولى مـن الـنص، وهـو مـا أشـرنا إليـه عنـد تحليـل الـنص، بينمـا وفـق نـاقش الـنص المـصري إلى حـد كـبير في توزيـع الحـروف والكلمـات وأسـطره متناسـقة ومتناسـبة في حجـم الكلمـات في سـائر الـنص عـدا السطر الأخـير الـذي شـغله بكلمـتين همـا تـاريخ السنة وهـي نهايـة الـنص، وربمـا يكـون السبب هـو أن نـاقش الـنص موضـوع الدراسـة لم يكـن متمكنًـا مـن الكتابـة والـنقش بعكـس غـيره مـن خطـاطي ونقاشـي الحجـاز الـذين عـرفهم القـرن الثالـث الهجـري، الـذين بلغـوا شـهرة كـبيرة في جمـال ودقـة وزخرفـة النقـوش وأصـبحت شـهرتهم لا تقتـصر علـى مكـة أو الحجـاز بـل في بقيـة أقطـار العـالم الإسـلامي، لدرجـة أنـه أسـتعين بهـم لتنفيـذ أعمـال كتابيـة ونقـشية في خـارج الحجـاز، وبخاصـة في مـصر الـتي اسـتعانت بخطـاط الحجـاز الـشهير مبـارك المكـي الـذي نفـذ عـددًا مـن الأعمـال الكتابيـة وصـلنا منهـا حتـى الآن أربعـة نقـوش، ثلاثـة منهـا مؤرخـة بـسنة ٢٤٣هـ والرابـع

مؤرخ بسنة ٢٤٦هـ[١].

٤- وضع النص المصري داخل إطار زخرفي مجدول من ثلاث جهات مما ساعد ناقشه على التحكم في بدايات السطور ونهاياتها، بينما يخلو النص موضوع الدراسة من أي إطار.

٥- ظهر التاريخ في النص المصري بالشهر والسنة في السطرين الحادي عشر والثاني عشر بينما خلا النص موضوع الدراسة من أي تاريخ أو أن الجزء الخاص بالتاريخ من النص قد فقد نتيجة تعرضه للكسر.

٦- ظهر التوريق أو اللواحق الزخرفية في النص موضوع الدراسة على هيئة وريقات نباتية ثنائية الفصوص في الحروف القائمة كالألفات واللامات وفي كلمة واحدة ظهر التوريق بثلاث فصوص هي كلمة "بن" في السطر الثالث من النص بينما ظهر التوريق في بدايات حروف النص المصري على هيئة وريقات نباتية مسننة بينما ظهر التفطيح في نهايات الحروف وهو تعريض نهاية الحرف بحيث تشبه المثلثات المطموسة.

٧- ظهرت الياء النهائية في النص المصري في شكلها العادي هكذا " " وهكذا " " في كلمة "على الدين" في السطر السابع وفي كلمة "في" في نهاية السطر العاشر بينما ظهرت في النقش موضوع

(١) عن هذا الخطاط انظر، محمد فهد الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، ص ص٢١٩- ٢٣٢ لوحة ٣٧- ٤٠

الدراسة على هذا النحو " " وهي ياء حجازية لم نر لها نظيرًا في غير النقوش المكية منذ القرن الثاني الهجري[1].

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- الأزرقي، أبوالوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، جزءان، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، دار الثقافة، ١٣٨٥/١٩٦٥م.

٢- الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٣- ابن الأثير، أبوالحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، جـ٧، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م. أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة، د.ت.

٤- ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبدالله، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

---

(١) انظر هامش (١٢٢) من هذه الدراسة.

٥- ابن تعزي بردي، جمال الدين أبوالمحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، جـ٢، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
٦- ابن خياط، خليفة بن خياط، تارخ خليفة، تحقيق أكرم العمري، الرياض، نشر دار طيبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٧- ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، جـ١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٨- ابن شبة، أبوزيد عمر بن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم شلتوت، جده، دار الأصفهاني، جـ١ – جـ٤، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
٩- ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت، منشورات دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٠- ابن ظهيرة، جمال الدين محمد بن جار الله، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
١١- ابن فهد، عمر بن محمد بن محمد بن محمد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، نشر مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، جـ٢، ١٤٠٣هـ.
١٢- ابن الفقيه، أبوبكر أحمد بن محمد، كتاب البلدان، تحقيق دي جويه، ليدن، ١٨٨٥م.
١٣- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، جـ٢، دون تاريخ.

١٤- ابن النجار، محمد بن محمود، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، مكة المكرمة، نشر مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

١٥- أبواسحق الحربي، ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة للترجمة والنشر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

١٦- البصري، هلال بن يحيى، أحكام الوقف، حيد آباد الدكن، ١٩٣٦م.

١٧- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله وعمر الطباع، بيروت، ١٩٥٨م.

١٨- البيهقي، إبراهيم بن محمد، المحاسن والمساويء، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٩- الثعالبي، أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنصوب، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، مصر، دار النهضة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

٢٠- الجهشياري، أبوعبدالله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢١- الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، بيروت، جـ١٤، ١٣٠١هـ.

٢٢- الذهبي، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، بيروت، الطبعة الثالثة، جـ١٠، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥/١٤٠٥م.

٢٣- الرشيدي، الشيخ أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق ليلى عبداللطيف، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م.

٢٤- السمهودي، علي بن أحمد، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، الطبعة الرابعة، جزءان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٥- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢٦- الصابي، أبوالحسين هلال بن الحسن، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، بغداد، نشر المجمع العلمي العراقي، مطبعة العاني ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٢٧- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، ١٠ أجزاء، دار المعارف، ١٩٧٩م.

٢٨- العسكري، أبوهلال عبدالله بن سهل، الأوائل، تحقيق وليد قصاب ومحمد المصري، الرياض، منشورات، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٩- العصامي، عبدالملك بن حسين، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، القاهرة، جـ٣، المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ.

٣٠- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء، القاهرة، جزءان، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٦م.

٣١- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، الجزء الرابع، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

٣٢- الفاكهي، أبوعبدالله محمد بن اسحق، أخبار مكة في قديم الدهر

وحديثه، تحقيق عبدالملك بن دهيش، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، الجزءالثالث، مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٣- الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، منشورات داراليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٣٤- محب الدين الطبري، أبوالعباس أحمد بن عبدالله، القرى لقاصد أم القرى، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٣٥- المسعودي، أبوالحسن علي بن حسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت، جـ٢، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٦- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م.

٣٧- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ.

٣٨- النهروالي، قطب الدين الحنفي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، طبعة أوروبا، ليبزج، ١٨٥٧م. وكذلك، تحقيق محمد طاهر كردي، مكة المكرمة، نشر مكتبة فدا، الطبعة الثانية، ١٣٧٠هـ.

٣٩- ياقوت، ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، ٥ أجزاء، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٠- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، بيروت، نشر دار بيروت للطباعة، جـ٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤١- اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملوارد، بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ثانيًا: المراجع:-

١- الأنصاري، عبدالقدوس، آثار المدينة المنورة، نشر المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٢- إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٩م.

٣- إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، القاهرة، جزءان، ١٩٢٥م.

٤- أبوزهرة، محمد، محاضرات في الوقف، القاهرة، مطبعة مخيمر، ١٩٥٩م.

٥- أمين، محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر "دراسات تاريخية وثائقية"، القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

٦- باسلامة، حسين عبدالله، تاريخ عمارة المسجد الحرام، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٧- الراشد، سعد بن عبدالعزيز، درب زبيدة، الرياض، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٨- عنقاوي، عبدالله عقيل "المحمل نشأته وآراء المؤرخين فيه" مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الثاني، ١٣٩١- ١٣٩٢هـ/ ١٩٧١- ١٩٧٢م.

٩- الفعر، محمد بن فهد بن عبدالله، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، جدة، تهامة للنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

١٠- الفعر، محمد بن فهد بن عبدالله، الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني، رسالة دكتوراه، لم تنشر، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١١- الفعر، محمد بن فهد بن عبدالله، "نص منقوش على أعمدة مصلى مقام إبراهيم عليه السلام مؤرخ بسنة ٧١٩هـ" مجلة جامعة أم القرى، العدد ١٣، السنة الرابعة ١٤١٦هـ.

١٢- كحالة، عمر رضا، إعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، دمشق، الطبعة الثانية، جـ٥، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

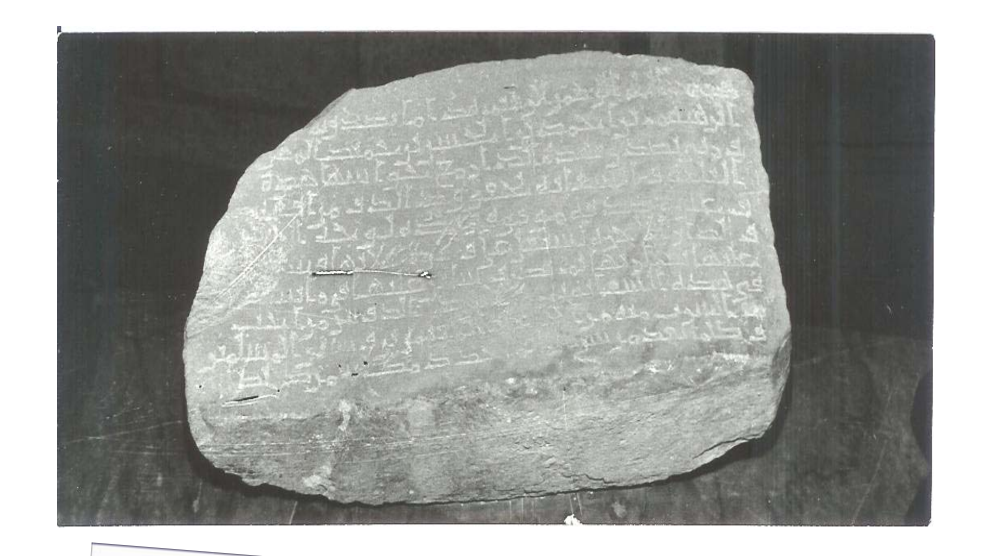
١٣- كمال، سليمان بن صالح، إمارة الحج في العصر العباسي من سنة ١٣٢ إلى سنة ٢٤٧هـ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، لم تنشر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٤- ملاقلندر، عبدالقادر، الخلاصة المفيدة في أحوال عين زبيدة، مكة المكرمة، ١٩٢٧م.

١٥- Wiet (G.) Steles Funereires, Tom II (Le Caire), ١٩٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به
ابرهيم بن احمد بن الحسين بن محمد المعر
ودي بصدر ونهضه الدار ومع حوا نبها هذه
البلبه والسقاية بحدودها كلها من اوله
و علوه صدقه موقوفه موبده لوجه الله
والدار الاخرة تستغل على وجوه غلاتها وسابلها
عليها العمار بها لم يصرف ما بقي عليها في ما يسر
في هذه السقاية .... فلا يزال محبس
من اشرب منه من الحجاج والمعتمرين وسائر المسلمين
وكلما بعد من يسعى من ماها حدد مكانه من بعد ذلك

شكل (١) صورة مفرغة لنقش وثيقة الوقف موضوع الدراسة.



شكل (١) صورة مفرغة لنقش وثيقة الوقف موضوع الدراسة.


بسم الله الرحمن الرحيم

لوحه (٢) النص المقارن المؤرخ لسنة ٢٥٠هـ
مصدره متحف الفن الإسلامي بالقاهرة